أندلُسيا المجهولة

تأليف

بلاس أحمد إنفانتي بيريز فارغاس
Blas infante perez vargas
1936 - 1885

ترجمة و تعليق

حسان بن مبروك المغاربي التونسي

"أندلُسيا احتلها الأوروبيون فصمدت وهي صامدة وستصمد و لن تكون أبدا أوروبية".

بلاس أحمد إنفانتي بيريز فارغاس كتاب أصول أندلُسيا ص 193

مقدمة المترجم:

بسم الله و الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و آله و صحبه و من ولاه.

أما بعد;

نيتي في ترجمة هذا الكتاب هي نقل شهادة المؤلف الإسباني بلاس إنفانتي فارغاس بيريز في حق العرب والمسلمين أثناء حقبة الأندلس كما سيأتي.

كذلك سرد خبر إسلامه لدى القارئ أثناء زيارته لقبر المعتمد ابن عباد بمدينة أغمات المغربية سنة 1924.

لا أوافق المؤلف في منهجه لنصرة و إستعادة الأندلس المسلمة، إلا أنني ارتأيت لأهمية ما كتبه أن أنقل شهادته كفرد من المجتمع الإسباني المعاصر على الماضي الإسلامي والعربي المشّرف و ما قابله و يقابله من جرائم النصارى التي لم تمحى في حق الأندلسيين عموما والمسلمين خصوصا.

- تنبيهات منهجية في ترجمة هذا الكتاب:

دون لفظ الأندلس إستعمل بلاس إنفانتي قصدا طيلة تأليف هذا الكتاب لفظ "**أندلُسيا**" المعاصر مشيرا للإقليم الواقع أقصى جنوب الجزيرة الإيبيرية الذي يمتد على حوالي 87 ألف كم مربع و يضم ثمانية مدن كبرى:إشبيلية وهي العاصمة، قرطبة، غرناطة، قادش، المرية، ولبة، جيان، و مالقة. حسب التقسيم الإداري لمملكة إسبانيا الحالية المحْدث سنة ١٨٣٣

ما هو الفرق بين الأندلسAl-Ándalus و أندلُسياAndalucía ؟

بإختصار أندلُسيا الحالية هي جزء من الأندلس القديمة.
كلا اللفظين ينتميان إلى جذر لغوي مشترك لكنما يتبيانان اصطلاحا من حيث المعنى التاريخي و الجغرافي.

الأندلس: لدى أهل الجغرافيا قديما تقع في الإقليم الرابع أو الخامس من الأرض او في كليهما. قال ابن عبد المنعم الحميري[1] في كتاب صفة جزيرة الأندلس:

[1] محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله الحميري ولد بسبتة و توفي ٩٠٠ هجري.

"هذه الجزيرة في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب، هذا قول الرازي، وقال صاعد ابن أحمد في تأليفه في طبقات الحكماء: معظم الأندلس في الإقليم الخامس وجانب منها في الرابع كإشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية."

تاريخيا، و في أوّج اتساعها على عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي امتدت الأندلس المسلمة لتسيطر على شبه الجزيرة الإيبيرية ما عدا بضعٍ في أقصى شمال كنتبريةCantabria المطلة على البحر المحيط (الأطلنطي) حيث وطئت خيل موسى بن نصير قبل أن يقفل راجعا إلى دمشق.

استقر المسلمون لاحقا في الشطر الجنوبي؛ عرضا من مدينة شنترين Santerém بالبرتغال إلى مدن الثغر الأعلى مثل برشلونةBarcelona، سرقسطةZaragoza و طليطلةToledo التابعة اليوم لمقاطعتي أراغون وقشتالة وحتى البعض من مناطق نافاراNavarra و البشكنشPaís vasco قبل أن تأخذ في التقلص على مر العصور.

بذلك يُعلم أن الأندلس قديما قد ضمت مقاطعة أندلُسيا الحالية كاملة إضافة إلى بلنسيةValencia،مجريط (مدريد) Madrid،إكستريمادوراExtremadura،جزر البليارLas islas baleares, جزر الكناريCanarias.

و مدنا مهمة من كطالونياCataluna نافاراNavarra أراغونAragon ليونLeon البشكنشPais Vasco.

من المسائل المهمة في هذه الترجمة أن بعض العبارات النابية أو المتعلقة بمعتقدات غير الإسلام لم أنقلها على مراد صاحبها و إنما راعيت في ذلك ديني الإسلام ثم خصوصيات القارئ العربي عموما باعتبار أن اللغة المترجم إليها هي العربية.

التعريف بالمؤلف:

نسبه:

ولد بلاس أحمد إنفانتي بيريز فارغاس يوم 22 رمضان 1302 هجري الموافق ل 5 يوليو 1885 بمدينة كاسيريس Caceres (أصلها من العربية _ قصر) التابعة لمقاطعة مالقة بإقليم أندلسيا.

زاول تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مدينة أر شذونة حيث جاز البكالوريوس بين سنتي 1895 و 1899.

أما التعليم العالي فكان بجامعة غرناطة سنة 1904 أين تحصل على الإجازة في القانون.

إسلامه:

أورد المؤرخ المغربي ذو الأصول الأندلسية علي منصور الكتاني في كتابه " انبعاث الإسلام في الأندلس" ص 285 قصة إسلام بلاس إنفانتي حيث قال:

" ففي 15/09/1923م ، في ذروة معارك الريف ، قرر إنفانتي زيارة قبر المعتمد ابن عباد في أغمات بالمغرب ، رغم المخاطر. فصحبه رجل إسمه بيدال، و موسى بن عبد المؤمن ، ترجمان مسلم من وهران. وصل إنفانتي إلى أغمات، و زار قبر الأمير الأندلسي، و شعر بانطواء الزمن، و حلم برهة و كأن سنين الآلام لم تكن، و لم يكن اضطهاد للشعب

الأندلسي ، و لا قضي على شخصيته و دينه و لغته و هويته و أرضه وكرامته و شرفه، و لم تكن هنالك لا قشتالة و لا كنيسة. و تعرف إنفانتي في أغمات على بعض أبناء الأندلس، منهم عمر الدكالي و رجل يحدر من بني الأحمر ، فأشهر بلاس إنفانتي على يديهما إسلامه، و بكى من عظمة اللحظة."

بالمقابل نفت ابنته ماريا إنفانتي خبر إسلامه في مقابلة مع صحيفة "Huelva información" سنة 2011.

لكن مما شك فيه أن شهادة المؤرخ المغربي المسلم علي منصور الكتاني وغيره من المسلمين مقدمة على أقوال المكذبين.

وفاته:

بعد عودته من المغرب شارك بلاس إنفانتي في عديد المؤتمرات و ألقى الكثير من المحاضرات بشأن الدفاع عن حقوق أندلُسيا والأندلسيين مما أدى إلى وفاته في 11 أغسطس سنة 1936 على يد قوات فرانكو الكاثوليكية.

مؤلفاته:

- الأفضل للاندلس _ ideal andaluz
- رواية خواكين كوستا _ La obra de Costa
- مجتمع القوميات _ La sociedad de las Naciones

- المعتمد، آخر ملوك إشبيلية _ Moatamid , último rey de Sevilla
- حكايات الحيوانات _ Cuentos de animales
- الديكتاتورية البيداغوجية _ La dictadura pedagógica
- الحقيقة حول مؤامرة تابلادا و حكومة أندلسيا الحرة_

La verdad sobre el complot de Tablada y el Estado libre de Andalucía

- أصول أندلُسيا _ Fundamentos de Andalucía
- المنصور ابن أبي عامر _ Almanzor

منشورات لجنة أحرار أندلُسيا_ Publicaciones de la junta liberalista de Andalucía

أندلُسيا المجهولة

إشبيلية

مقدمة:

لا تملك لجنة أحرار أندلُسيا الوسائل لنشر تاريخها بالشكل الذي تطمح إليه.
رجال لا مال لهم لكنهم أغنياء بقلوبهم. لذلك نعتبر من الضروري و لو بشكل عام أن نبين لأهل أندلُسيا تاريخهم المغمور و المختفي حتى تحصل لهم الصدمة بمعرفة ما كانوا عليه و مدى وحشية الإستعمار الذي مروا به.
من الضعف قوة تم نشر هذا الملخص التاريخي لداعية أندلُسيا بلاس إنفانتي الذي أتقن كل كلمة و جملة حتى تكون منطلقا لمن شاء أن يزداد علما بعظمة ثقافتنا أو المبتدئين و حتى الذين لهم دراية بتاريخنا الحقيقي(ليس ذلك التاريخ الجرماني المنتمي لأوروبا الذي أُشربناه في المدارس).
عبر وسائل مختلفة مثل المحاضرات، الكتب، المجلات، الموسيقى... من الممكن نشر حقيقة تاريخنا التي إذا إبتدءناها كنا بلا ريب ممن يحبون عودتها.
يتجلى ذلك في غايتنا أندلُسيا لذاتها، لإسبانيا و الإنسانية و هو شعارنا.

رغم تجاهلها بشكل مطلق تمتلك أندلُسيا خصائص ممتدة عبر التاريخ تظهر على الأقل من خلال المعالم التالية:

«**القدور الجرسية**»: هي أول حضارة غربية ما قبل التاريخ كانت قد نبعت من أرض أندلُسيا ثم انتشرت في وسط أوروبا،غربها(حتى انجلترا الحديثة)،وجنوبها بما في ذلك شبه الجزيرة الإيبيرية.

أما التالية وليدة أندلُسيا فهي حضارة «**الأضرحة الرخامية ذات القباب**» التي سميت في أواخرها بالعصر النحاسي.

امتدت إلى فرنسا عبر الشمال الشرقي، هولندا، ألمانيا، وصولا إلى الدانمارك ثم السويد. و بشكل محاذي للضفاف و الأودية بلغت آسيا الصغرى ،اليونان، و ترينيا[2] (مدينة شمال إيطاليا). بالتالي تكون أندلُسيا حينها لا علاقة لها نهائيا بشمال و وسط إسبانيا حيث كانت في تواصل بحري مع البلدان البعيدة.

في زمن الحضارتين السابقتين اكتشفت أندلُسيا مادة النحاس الذي أتقنت توظيفه خلال الحقبة الثانية. فظهرت فنون وعلوم اعتباطية ليس لها أهداف تطبيقية أو زخرفية و لا حتى دينية.
فما لبثت حتى ازدهرت بعدها فترة تشييد الأسقف،القباب،الكتابات الأبجدية، و إستعمال الحديد... إلخ.

[2] Tirrenia

أما عن الثقافة التاريخية الأولى فهي أيضًا أندلسية المنشأ. إنها ثقافة التارتيسوس[3]: اخترعت البرونز ، و اتقنت الملاحة و منها ظهرت أول دولة سياسية غربية.

امتدت حدود تارتيسوس الجغرافية لتتطابق مع أرض أندلُسيا الحالية ، باستثناء مدينة ليفانتي التي تضمنت مساحة ما يصل إلى قرب مدينة فياخويوسا[4] التابعة لمقاطعة أليكانتي ، و من جهة بونينتي[5] لتشمل مدينتي ميريدا و باداخوز داخل حدودها.

يمكن القول على الأقل أنها في بدايتها كانت ثقافة بارزة في جميع مظاهر الحياة المعنوية كنظيراتها السابقة التي سيطرت على العالم.

سكان مدينة صور اولا، ثم قرطاج ثانيا هم الذين حرموا الأندلسيين من التجارة البحرية.

لم تتمكن أندلُسيا من الصمود أمام تلك الشعوب رغم قلة عددهم.

لم يكن الأندلسيون أهل حرب. فالشعوب حالها كحال رجال لديهم ثقافة متقدمة يمكن الإطاحة بهم سريعا في ساحة القتال. دائما ما يظهرون بصورة لامعة، بطولية ، و ذات جمال لكنهم لا يقدرون على الاستماتة طويلا عند اللقاء.

التقت الحضارة الرومانية سليلة الإغريق، في بلاد أندلُسيا ببقية حضارة التارتيسوس فتعاملت معها بندية.

أما وسط إسبانيا و شمالها فكان مرجع نظرها للإمبرطور الروماني أو من يمثله من القادة العسكريين. و أما أندلُسيا فهي تبع لمجلس شيوخ محلي و لها حرية ممارسة ثقافتها.

تحالفت أندلُسيا مع روما في دحر البرتغاليين و شعوب السلتيك القاطنين بأقصى شبه الجزيرة الإيبيرية.

نظير حريتها قدمت أندلُسيا إلى الإمبراطورية الرومانية أفضل شعرائها ، مفكريها ، اباطرتها و ملوكها الأوائل الذين حكموا روما فاتسموا بالعلم و الرحمة.لم تكن أصولهم لاتينية بل أندلسية.

---

3 Tartessos القرن السابع قبل الميلاد

4 Villajoyosa

5 Poniente

أثناء العصور الوسطى زحفت الشعوب الجرمانية الهمجية إلى أرض أندلُسيا فأنتزعوا البلاد و فرضوا تقسيماتهم الجغرافية فكانوا أول من سن الإقطاع الفلاحي.
إنتفض الأندلسيون لكن سرعان ما خمدوا كما هو الحال دائما قولهم: لا أدري ، لا أريد.
عادت قرطبة للمواجهة لكن لم تلبث أن سقطت. أما إشبيلية فقد عينت حاكما جرمانيا همجيا يظهر متحضرا يدعى إيرمنخيلدو[6] فباءت بالفشل هي الأخرى. لقد سقط أسيرا في يد أعدائه و مع ذلك لا يزالون يرونه ملكا. حينها توقف النمو الثقافي "فأصبحت أندلُسيا عاجزة على التوفيق بين مختلف أطياف المجتمع". (قاله الإدريسي أو كما يعرف لدى الإسبان سان إيسيدرو (San isidro).
غير أن أحد الهمجيين رضع من خصال أهل أندلُسيا فجَرت فيه مجرى العروق ، له فيها ممتلكات، و بها تعلم أبنائه، حتى صار فاضلا يتميز بالإنسانية.
هو أحد أبرز الشخصيات التاريخية مثل أخناتون، أميل مردوخ، أو أسوكا تانو. إنه الملك غيطشة Witiza:
أمر بحماية اليهود الذين أغرقوا أندلُسيا بأعدادهم منذ عصر التارتيسوس، و حوّل الأسلحة لأدوات فلاحية، هدم الحصون، و عصى قرار الكنيسة فأباح زواج القساوسة.
رد الهمجيين عليه الفعل وانتصروا. " بذلك أصبحت أندلُسيا صليبية جرمانية" (هذه الكلمات تعتبر مفتاحا في إدراك تاريخ العصور الوسطى). تلك هي فترة حكم الملك لذريق (Rodrigo) التي لم تدم طويلا.
ما العمل ؟ أستبيح عِرض أندلُسيا فهي، رمز المرأة السيئة حينها. لقد إستحياها ذلك الهمجي.

6 Hermenegildo

بسرعة خاطفة و إقدامٍ عبرت من العدوة الإفريقية كوكبة من الفرسان حاملة راية توحيد الله عز و جل عبر جبل طارق الذي يفصلهم عن أندلُسيا، كما وصفه الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي في قصيدته[7].

أولا لم يطمئنوا، ثم أعادوا الكرّة حتى إكتشفوا البلاد حينما التقوا شعبا ذا وعي لكنه مكبل يشتاق إلى العتق.

جاز طارق بن زياد في 14.000 رجل برضى وموافقة أهل أندلُسيا.

عام بعدها في 20.000 رجل بدعم من موسى بن النصير إستطاع السيطرة على كامل إسبانيا و القضاء على النظام الإقطاعي للقبائل الجرمانية.

ظهرت حرية ثقافية. أندلُسيا بأكملها تعلمت اللغة العربية، و يقولون أنها أسلمت.

لم يمر وقت طويل حتى تنصلت أندلُسيا من الخلافة العباسية في الغرب و اختارت ملكا من بني أمية. لقد عادت أخيرا إلى الحكم الذاتي.

أندلُسيا ! أندلُسيا حرة و مهيمنة على شبه الجزيرة الإيبيرية. إنها كمصباح مضيء في عتمة القرون الوسطى.

قديما قالت الشاعرة السكسونية هاوسريتا[8]: "أوروبا الجرمانية طوائف همجية نهلت من المجمع الديني الروماني. لا أحد إلى الآن يجيد الكتابة والقراءة حتى النبلاء منهم ، ما عدى بعض القساوسة. أما أهل الأندلس كلهم يجيدون ذلك".

لا يوجد أي دليل علمي أو ثقافي ينفي عن أندلُسيا الحرة أو المسلمة وصفها بأنها ذات مقام عظيم.

لم يكن يُتصور في ذلك الزمان أن ينشأ اقتصاد ذا صبغة اجتماعية يكون مصدر ثراء مالي للمواطنين.

---

[7] صالح بن يزيد (أبي الحسن) بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، أبو البقاء النفزي الرندي 601 هـ 684 هـ

[8] Howsrita

" افضل الفواكه الشهية كانت تعرض مجانا".

أما التجارة مزدهرة و قوية حتى أن مداخيلها الجمركية تغطي النفقات العامة و تملأ خزينة الدولة.

الفنون ! أنشدت أندلُسيا حتى أسر حسن صوتها القارة الأوروبية برمتها فكانت ترتعد منها غيرة و غيظا. إنها نصرانية، أما أندلُسيا فتحمل راية الإسلام، حرة المعتقد.

" إلى اليوم لم تستطع إنشاء قوة عسكرية فهدمت جيوش من المرتزقة دولة أندلُسيا و حلت مكانها طوائف يحكمها الأمراء، و رغم ذلك اتسمت هي الأخرى بصبغة علمية ." لتزداد الثقافة الأندلسية ازدهارا.

امتازت تلك الطوائف الأندلسية بحدودها الجغرافية الصغيرة و إجتماع سكانها على الإيمان. فما يضرها أنها غير مؤتلفة سياسيا؟ كما أشار إلى ذلك الشاعر البريطاني جورج غوردون بايرون[9]:

"ليست العبرة في شساعة المساحة و لكن في قيمة ما تحتوي ."

إبان ذلك العصر كانت أوروبا أكثر تقدما من اليابان.

إذا كان كذلك فقد قدِموا للتعلم في جامعات أندلُسيا، ترجموا كتبها، واستعانوا بعلمها على بناء عصر النهضة لديهم. جميع علمائهم، قساوستهم، مفكريهم، أطبائهم، شعرائهم، هم طلبة تخرجوا على يد أندلُسيا. لكن رغم ذلك يحقدون عليها. لأنها ليست صليبية!

اختراعاتنا العلمية انتفع بها أعدائنا ضدنا: أما فرنسا كانت و لا زالت و دائما قائدة أوروبا الجرمانية ضد الأندلس التي لا تنتمي إليهم نسبا و تاريخا.

إسبانيا أداة لفرنسا، لقد عاد الهمجيين الذين طردهم العرب بعد أن استعانوا بأوروبا كلها، مرة أخرى ضدنا.

الحملات الصليبية ! سرقة، قتل، حرق، إنه الحقد الهدام برعاية أهل الصليب.

احتلوا بلادنا أندلُسيا ، يصفوننا "كلاب"، و يقذفون بنا في الأفاجيج من قمم جبال الشارات.

---

[9] Byron

فرناندو "الأحول" ملك قشتالة، افتك مدينتي قرطبة و إشبيلية بالقتل و الحرق. بدأوا في احتلال أرضنا. الهمجيون عادوا للإنتصار على حضارة مؤسساتنا العلمية التي سقطت أمام جرائمهم العمياء. أخيرا، الملكة إيزابيل ،"ناهبة المجوهرات" بعد أن ذبّحت أهل مدينة مالقة الشجعان، و استعبدت نسائهم و جعلتهم خدما تحت حريم قصرها، منحها البابا لقب"إيزابيل الكاثوليكية".

الهمجية، المتوحشة، المتعصبة، المنافقة، أرسلت إليه نصيبا من المال و مجموعة من الأسرى الأندلسيين تم اقتيادهم بعد سقوط المدينة.

فترة حكم تلك المرأة وجرائمها تتناقض مع العدل والقيم الإنسانية العالمية، زيادة على انتهكها أخلاق المعاملات السياسية المندوب إليها لدى الأمم.

لقد كانت و زوجها أكبر مخربيّن في تاريخ إسبانيا كما سيأتي ذكره من خلال سرد أفعالها: أحرقت المكتبات، هدمت المساجد والمصانع.

نهائيا، أصبحت أرض أندلُسيا برمتها تحت سطوتها. تم تقسيم الأراضي إلى إقطاعات شاسعة بين قادة الجنود المرتزقة أو بين المستوطنين الجدد القادمين من بلاد المحتل: مملكة قشتالة و ليون.

إنهم لا يحبون الحراثة فجعلوا أهل أندلُسيا عبيدا تائهين يخدمون أرض عدوهم في حين أُتلفت مزارعهم و هُجرت حتى أصبحت قفارا كما وصف ذلك أبو البقاء الرندي في أبياته:

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس وصلبان
يا غافلا وله في الدهر موعظة
إن كنت في سِنة فالدهر يقظان .

أُوقدت النيران في سراديب محاكم التفتيش، حُرّق في أتونها الملايين من الأندلسيين، المهجنين، و المسلمين.

تمت المصادقة على قرار طرد الأندلسيين، منهم من ظل في منفاه، آخرين عادوا خفية، و رجع بعضهم من العدوة الإفريقية منتحلا مهنة التجارة فعاش متخفيا وسط مجتمع العدو أو نأ بنفسه بين شعاب الجبال الوعرة.

واصل ملوك عائلة هابسبورغ أثناء القرنين السادس و السابع عشر على نهج إيزابيل الكاثوليكية.

أخيرا، بعد أن هاجر العرب البلاد إستطاع الهمجيون الإنتصار و التمكن نهائيا.

الإستحمام يعاقب فاعله. تحت إرهاب شديد مُنع لبس القميص، التكلم بالعربية، الغناء، و جميع التقاليد الأندلسية.

انطلق مشروع دفن تاريخنا الثقافي الزاهر فكان مجرد ذِكره يعتبر جريمة.

مرت أجيال ثلاثة ...أصبح أهل أندلُسيا يعتقدون أنفسهم أوروبيين و أن المسلمين الذين عاشوا فيها كانوا مجرد شعوب متوحشة قدمت من شمال إفريقيا للتوسع عبر مضيق جبل طارق. لم يبقى من وطن أندلُسيا و مجتمعها إلا شتات كأنها مرّكبات غير عضوية.

نجحت الهمجية الجرمانية تدريجيا في تطبيق القولبة التي تتخذها مبدأ أساسيا في تعاملها مع مخالفيها.

رغم ذلك ظل سكان المناطق الريفية الأندلسية محافظين على نقاء أنسابهم بخلاف أهل المدينة الذين اختلطوا بالأجانب.

لم تنتهي أندلُسيا ! لا يزال يحملها شعبها المستعبد تحت شمس أرضه، كما هو حال أهل البادية التي أجبر سكانها المسلمون الأوائل على التنصر قبل قرار الطرد. فلما رجع بعضهم بعد النفي و لجأوا إلى الجبال و الأرياف كانوا يلقبون هؤلاء الذين بقوا وأخفوا دينهم لقب"النصارى القدامى".

لا يزال نسبهم و معتقدهم ظاهرا. كانوا و إلى الآن هم ذلك العدد الغفير من العمال المستعبدين و أولئك الفلاحون المسلوبة أرضهم: إنهم "الفلامنكو" أصلها (فلاح منكوب _ مطرود).

هل عرفت الآن أيها الأستاذ رودريغز مارين[10] ؟ هل فهمتهم جميعكم يا اصحاب الفلكلور و غيرهم ...من جورج برو[11] إلى ماشادو ألفاريز[12] ، و من فرانز شوبرت[13] إلى والدو فرانك[14] الذين اخترعتم الدسائس لكلمة " فلامنكو". كلكم دون استثناء ضائعون في بحر الشبهات حتى وصل بكم الحال للاعتقاد أن كلمة " فلامنكو " العربية الأصل لاتينية او جرمانية تم ادراجها في اللغة الإسبانية لإستعمالها الشائع!

في تاريخ أندلُسيا، القرن السادس عشر هو زمن نشأة الفلامنكو الذي تطور تدريجيا على مدى القرون اللاحقة:

كان بشكل سري خلال القرن السابع عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر، ثم ظهر بمعنى ضبابي إلى أوائل القرن التاسع عشر.

فمنذ ذلك الزمان إلى اليوم انجلى الغيم، أصبح الفلامنكو ذا مفهوم علني، واضح الرسالة بعد تظافر الجهود في استعادة بناء الوعي لدى الأندلسيين عبر إنشاء المؤسسة الأندلسية أولا، ثم لجنة الأندلس الحرة.

زمن الفلامنكو _ الفلاح المنكوب ! زمن احتقار للشعب الأندلسي المهزوم و للمسلمين الذين صاروا خدما مستضعفين في مزارع مغتصبة فرضها علينا الإقطاع الهمجي الأوروبي.

زمن سرت فيه التقاليد الأندلسية بخفية في دهاليز الأرض، فكان يتوارى أهلها بممارساتهم الثقافية كاللص في عتمة الليل فلم يتخلوا عن ميراث أندلُسيا القديمة رغم القرون التي مضت تحت حكم الأعداء.

---

10 Rodríguez Marín

11 Borrow

12 Machado Alvarez

13 Schudart

14 Waldo Frank

زمن الفلامنكو ...! استمرت فيه هوية أندلُسيا تحت الإضطهاد الأوروبي الذي مارسته ضدنا إسبانيا دون رحمة، و تفننت فيه بشكل وحشي منقطع النظير، كما لم يحدث من قبل مع أهل مستعمراتهم السابقة. لكننا هنا في الأندلس مازلنا على قيد الحياة.

تلك المأساة المروعة و المتكررة عبر القرون الماضية أصبحت لب الأغاني الرثائية الشعبية بأندلُسيا أو ما يسمى: "خوندو أندلس" الغناء الشعبي الأندلسي.

أنتم ! يا من تضحكون من الفلامنكو و تنظرون إليه على أنه حركات بهلوانية ! يا من جعلتم مأساتنا فُكاهة لأن كل ما يصدر عن الشعب الأندلسي المهزوم لا قيمة له عندكم. تلك هي العجرفة و قلة الإحترام الجرمانية، رمز التهكم و اللاوعي الإستعماري الذي لا يزال يمارس ضد المضطهدين الذين يصفونهم ب " كلاب" !

في زمن الفلامنكو، كان النظام الذي أسسه المحتل يكرس مبادئ الهمجية التي سببت عقما لأندلُسيا.

قام بإرساء نظامه الإقطاعي و تقسيم الأراضي بعد التمكن من السلطة:

أولا بين النبلاء ورجال الكنيسة ثم بين الجنود.

ثانيا، حتى يكتمل إعمار الأراضي مُنح ما بقي منها إلى المعمرين القادمين من مملكتي قشتالة أو غاليسيا: فأهل الاولى ليسوا للفلاحة بأهل و أما أهل الثانية فلم يعتادوا على نظام الري الأندلسي المتطور، لذلك ستؤول أعمالهم إلى بوار.

أهمل أولئك المعمرون مزارعهم حتى عادت القرى الجنان أجمة موحشة.

بعد المضاربة و تمعش أسياد القرى والمدن دخلت إسبانيا تحت النظام الإقطاعي الأوروبي و نمى بذلك فساد المحتل. تمت مصادرة الأراضي لفائدة كبار اللصوص الذين أسسوا إقطاعات جديدة بعد أن كانت بأيد رجال الدّين.

مقابل أصوات العبيد تحصل السلطة الإقليمية على إعفاء من الضرائب من طرف السياسيين على حساب صغار الفلاحين المجبرين دائما على دفع تلك الأداءات و إيجار أراضيهم لكبار الإقطاعيين.

لم تسلم من الإستيلاء حتى بقية الأراضي القليلة التي لم تدخل تحت الإقطاع، ولا الأخاديد و الأفاجيج. فكان نظام مجلس إسبانيا الوسطى (مسيتا) غريبا لدى أندلُسيا وأهلها.

أصبح الأندلسيون يحتاجون لصخرة حتى يرفعو عليها رؤوسهم المطأطأة و هم يعيشون كثيران الحرث مسجونين في أراضي أسيادهم و قد صاروا عبيدا.

يوم لا تكون إليهم حاجة في تلك المزارع يتم عرضهم في الساحات العامة التي تحولت سوقا للرقيق، و أما نساؤهم، متاعا لأولئك الأسياد كما وصف حسنهن مالهال[15] قائلا: " ليس لهن نظير في العالم."

كذلك دوزا[16] تنتابه الرجفة حين يتفكر في حالهن البئيس و أما أنجل مارفو[17] يشتكي العالم تلك الجريمة النكراء.

بداية من القرن الثامن عشر، أثناء فترة ظهور الفلامنكو الثانية، من أجل وضعية الموريسكيين المزرية، طبقة العمال، و شعب الأندلس الذي أنشأ افضل حضارات الغرب ، بكى لدى ملك إسبانيا الوزير كومبومانس[18]...

رغم ذلك، العامل اليومي لا يضحك حين يضحك، ولا هو يبكي حين يبكي.

يبدو أمره غامضا...لكن شدة الجوع أجلته.

حتى في تلك الحال لا يمر يوما دون أن يتعلم أو يتذكر من يكون؟ كيف كان حاله؟ أو يروي قصته.

عندما يتكلم: لا يعي ما يقول، و لا أحد يدري ما قال، لكن تنبعث من داخله نغمات رهيبة، قاتمة، تنبس بها شفاه المرتعشة، و ترتعد لها أوصاله في حركة حزينة تظهر على محياه. ذلك هو الفلامنكو أو الفلاح المنكوب.

---

[15] Malhall

[16] Dauzat

[17] Angel Marvaud

[18] Campomanes

سنرى هل تحيا أندلُسيا أم لا.

إنتهى.

رمز أندلسيا

في سنة ١٩١٨ لدى اجتماع لجنة الأندلسيين بمدينة رُندة[19] اختيرت راية أندلسيا البيضاء و الخضراء.

هما اللونان الأكثر تناسبا مع انبعاث شعب لم يكن تركة الرومان، إنما هو منبع الثقافات الأصيلة و قدوة الإنسانية كما هو حال أندلسيا.

لأول مرة من شرفة برج "الخيرالدا" بإشبيلية حوالي سنة 1198 رفرفت تلكم الراية البيضاء و الخضراء كرمز لإجتماع مقاطعات أندلسيا ما فوق و ما وراء مضيق جبل طارق.

أخيرا، سنة 1642، كان الفارس الموريسكي(المسلم) من مدينة المرية، الملقب بالطير الحر، (الصقر) من رفع تلك الراية قبل إغتياله بين مدينة استبونا[20] و ماربيا[21].

من جمال الأقدار ، بعد مرور ثلاثة قرون ، عادت للظهور مرة أخرى في القرن العشرين على يد فلاحات من مدينة كاسيريس Caceres ، من أعمال رندة تقع على ضفاف البحر، حيث توفي الطير الحر.

لجنة رُندة المذكورة آنفا، حتى لا تنسى رمز أندلسيا، اقتبست أيضا لإعادة بناء هذا البلد و بعد عصر التارتيسوس،من تاريخ مدينة قادش الثقافي القديم، صورة هيرقليس الشاب وهو يروض غريزة أسدين مفترسين ، إشارة إلى القوة المعنوية المتجددة، و قد نُقشت تحته هاته الكلمات الأسطورية:

"أندلسيا، لذاتها، لإسبانيا و الإنسانية".

---

[19] Ronda

[20] Estepona

[21] Marbella

نشيد أندلسيا

عادت الراية البيضاء و الخضراء بعد قرون الوغى
لتقول سلام و أمل تحت شمس أرضنا. فكفى
أهل أندلسيا نريد أن نعود كما مضى
قوم علم، لهم منحنا
ما تكون لأنفسهم به معنى

بصوت عال:

أيها الأندلسيون انهضوا!
من أجل الأرض و الحرية
لأندلسيا حرة، إسبانيا، و الإنسانية